الدكتور محمد عبد الله دراز *
عضو جماعة كبار العلماء

النبأ العظيم

نظرات جديدة في القرآن

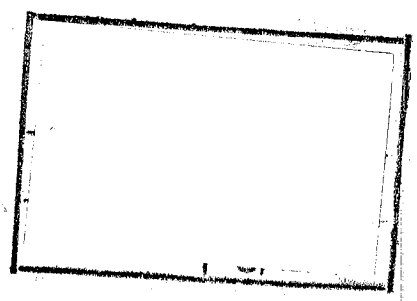

١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م

* دراز (١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ، ٧٠)
انظر (Zirikli, VI, 246)

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الأول من كتاب « النبأ العظيم » مولود جديد . . . قديم ... جديد فى مقطعه ونهايته ، قديم فى مطلعه و بدايته . . .

كان مسقط رأسه فى الحرم الجامعى ، منذ نيف وعشرين عاما ؛ ولكنه لم يبرز منه يومئذ إلا عنقه وصدره .. . أما أطرافه فلم تنشأ، وأما خَلقه فلم يكتمل ، إلا اليوم .

لقد شهد طلاب الأمس بداية أمره ، حين كان يملى عليهم نجوماً متفرقة ، فى فترات متلاحقة أو غير متلاحقة ، وكانوا كلما اجتمعت منه صفحات معدودة ، لا تزيد عن عِقد و بعض عِقد ، استعجلوا طبعها ، وجعلوا يستحثون همة المؤلف لوضع لاحقتها . . .

ثم أتت بعد ذلك شؤون [1] حالت دون إتمام وضعه ، بله إكمال طبعه . . .

---

(١) أمضى المؤلف فى خارج القطر اثنى عشر عاماً : من غرة ربيع الاول ١٣٥٥ إلى سلخ ربيع الثانى ١٣٦٧ (مايو ١٩٣٦ — مارس ١٩٤٨) مبعوثا من الجامعة الأزهرية إلى الجامعات الأوربية . فدرس هنالك بضعة ألسن من لغة أهل الغرب ، وألم بمناهج علمائهم فى البحث ، ووضع هناك باللغة الفرنسية رسالتين جامعيتين : عن القرآن ، وعن دستور الأخلاق فى القرآن ... ثم أمضى تسعة أعوام أخر بعد عودته إلى مصر مشغولا بشؤون علمية نيطت به على عجل . من أهمها :

١ — محاضرات فى علم تاريخ الأديان بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

٢ — محاضرات فى فلسفة الأخلاق بقسم التخصص بالجامعة الأزهرية.

٣ — تدوين محاضراته هذه وتلك وإخراجها فى رسالتين باللغة العربية . =

فبقى القدر الذى طبع منه حبيساً فى دار الطبع ، أو مقصوراً على الرعيل الأول من طلاب هذا البحث ... حتى أذن العلى القدير — وكل شىء عنده بمقدار — أن يضيف المؤلف إليه اليوم خليّات أخر ، اكتمل بها قوامه ، وأخذ بها أهبته للخروج من نطاق الثقافة الجامعية ، إلى فضاء الثقافة العالمية ، لكى يتحدث إلى كل عقل واع ناقد، لا يأخذ ما يأخذ إلا على بصيرة و بينة ،ولا يذر مايذر إلا على بصيرة و بينة ؛ و إلى كل وجدان تجريبى ذائق ، لا يكتفى بالخبر عن المعاينة ؛ ولا يستغنى بالوزن عن الموازنة .

إنه حديث يبدأ من نقطة البدء ...

فلا يتطلب من قارئه انضواء تحت راية معينة ؛ ولا اعتناقا لمذهب معين ، ولا يفترض فيه تخصصا فى ثقافة معينة ؛ ولا حصولا على مؤهل معين ، بل إنه يناشده أن يعود بنفسه صحيفة بيضاء ؛ إلامن فطرة سليمة ؛ وحاسة مرهفة ؛ ورغبة صادقة فى الوصول إلى الحق فى شأن هذا القرآن ...

و إنه إذاً لواصل إن شاء الله ؟ محمد عبد الله دراز

فى شعبان سنة ١٣٧٦ (مارس ١٩٥٧)

= على أن المؤلف ما زال فى أثناء هذه المشاغل كلها يعاوده الحنين إلى إكمال هذا الجزء ، وما برح فى تلك الأثناء يتلقى من أبنائه وزملائه الرسائل تلو الرسائل لمتابعة هذا البحث ، ولكنه لم ييسر له تحقيق بعض هذه الأمنية إلا الآن . وسبحان من لا يشغله شأن عن شان .

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذى فضلنا بالقرآن على الأمم أجمعين،وآتانا به مالم يؤت أحدا من العالمين : أنزله هداية عالمية دائمة ، وجعله للشرائع السماوية خاتمة ، ثم جعل له من نفسه حجة على الدهر قائمة . والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن ، ووصيته القرآن،وميراثه القرآن، القائل « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »

اللهم كما أعطيتنا حظا من وراثة هذا الذكر الحكيم ،فيسرت علينا حفظه وتذكره ، وحببت الينا تلاوته وتدبره ، نسألك أن تجعلنا من خيار وارثيه ، الذين هم بهدايته مستمسكون، والذين هم على حراسته قائمون ، والذين هم تحت رايته يوم القيامة يبعثون،في جند إمامنا الاعظم،ورسولنا الاكرم،محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه،وأتباعه وأحبابه

***

(أما بعد) فهذه بحوث فى القرآن الكريم ، قدمتها بين يدى دروس التفسير لطلبة كلية أصول الدين بالجامع الازهر المعمور، اردت بها ان أنعت كتاب الله بحليته وخصائصه، وان أرفع النقاب عن جانب من الحقائق المتصلة به ، وان أرسم الخطة التى ينبغى سلوكها فى دراسته

وقد راعيت فى اكثر هذه البحوث شيئا من التفصيل والتحليل ، وشيئا من التطبيق والتمثيل ، فلم اكتف بالاشارة حيث تمكن العبارة ، ولا بالبرهان إذا أمكن العيان ، راجيا بذلك ان تنفتح لها عيون الغافلين فيجدوا نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم ، وان تنشرح بها صدور المؤمنين ، فيزدادوا إيمانا الى إيمانهم

ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وبالاجابة جدير

١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م محمد عبد الله دراز

البحث الأول

«فى تحديد معنى القرآن»

«والفرق بينه وبين الحديث القدسى والنبوى»

القرآن فى الأصل مصدر على وزن فعلان بالضم، كالغفران والشكران والتكلان . تقول : قرأته قرءاً وقراءة وقرآنا بمعنى واحد ، أى تلوته تلاوة . وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدرى فى قوله تعالى : (إنَّ علينا جمعَه وقرآنَه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ـ . سورة القيامة [1]) أى قراءته

ثم صار علما شخصيا[2] لذلك الكتاب الكريم. وهذا هو الاستعمال الأغلب ومنه قوله تعالى:(إنَّ هذا القرآن يهدِى للتى هى أقوم ـ سورة الاسراء[3])

روعى فى تسميته قرآنا كونه متلوّاً[4] بالألسن ، كما روعى فى تسميته كتابا كونه مدوناً [5] بالاقلام ،فكلتا التسميتين من تسمية

---

(١) السورة ٧٥ الآية ١٧ وما بعدها

(٢) يطلق بالاشتراك اللفظى على مجموع الكتاب ، وعلى كل قطعة منه ، فاذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح ان تقول إنه يقرأ القرآن (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ـ سورة الاعراف ٧ : ٢٠١)

(٣) السورة ١٧ الآية ٩

(٤ ، ٥) هذا بيان لوجه العلة فيها بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول اليه ، وهو مبنى على ما اشتهر من استعمال القراءة فى خصوص التلاوة، وهى ضم الالفاظ بعضها الى بعض فى النطق، واستعمال الكتابة فى خصوص الرسم، وهو ضم

شيء بالمعنى الواقع عليه .

وفى تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه فى موضعين لا فى موضع واحد ، أعنى أنه يجب حفظه فى الصدور والسطور جميعا ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى . فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ، المنقول الينا جيلا بعد جيل على هيئته التى وضع عليها أول مرة . ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ماهو عند الحفاظ بالاسناد الصحيح المتواتر .

وبهذه العناية المزدوجة التى بعثها الله فى نفوس الامة المحمدية اقتداء بنبيها بقى القرآن محفوظا فى حرز حريز ، إنجازا لوعد الله الذي

بعضها الي بعض فى الخط . فاذا رجعنا الى اصلها الاصيل فى اللغة وجدنا مادتى « ك ت ب » و « ق ر أ » تدوران علي معنى الجمع والضم مطلقا . ويلمح هذا الاصل الاول يكون كل واحد من اللقبين ملاحظا فيه وصف الجمع ، إما على معنى اسم الفاعل او اسم المفعول ، فيكون معناه « الجامع » او « المجموع » وهذا اللقب لا يعنى فقط ان هذا المسمى جامع للسور والآيات ، او أنه مجموع تلك السور والآيات ، من حيث هى نصوص مؤلفة على صفحات القلوب ، او من حيث هى نقوش مصفوفة فى الصحف والالواح ، او من حيث هى اصوات مرتلة منظومة علي الالسنة ؛ بل يعنى شيئا ادق من ذلك كله ، وهو ان هذا الكلام قد جمع فنون المعانى والحقائق ، وانه قد حشدت فيه كتائب الحكم والاحكام فاذا قلت الكتاب او القرآن ، كنت كأنما قلت « الكلام الجامع للعلوم » او « العلوم المجموعة فى كتاب » . وهكذا وصفه الله تعالي إذ أخبر بانه نزله (تبيانا لكل شيء ـ سورة النحل ١٦ : ٨٩) وكذلك وصفه النبي صلى الله عليه وعلي آله وسلم حيث قال « فيه نبأ ماقبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ـ رواه الترمذى »

Türkiye Diyanet Vakfı

تكفل بحفظه حيث يقول : (إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون سورة الحجر (١)) ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند ، حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها الى حفظ الناس فقال تعالى : (والرّبانيون والأحبارُ بما استحفظوا من كتاب الله ـ سورة المائدة (٢)) أى بما طلب اليهم حفظه ـ والسر فى هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد ، وأن هذا القرآن جيء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها ، فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائداً عليها بما شاء الله زيادته ، وكان سادا مسدها ولم يكن شيء منها ليسد مسده ، فقضى الله أن يبقى حجة الى قيام الساعة وإذا قضى الله أمرا يسر له أسبابه ، وهو الحكيم العليم

ولما كان القرآن بهذا المعنى الاسمى جزئيا حقيقيا كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص . وذلك شأن كل الجزئيات الحقيقية لا يمكن تحديدها بهذا الوجه ، لأن أجزاء التعاريف المنطقية كليات ، والكلى لا يطابق الجزئى مفهوما ، لأنه يقبل الانطباق على كل ما يفرض مماثلا له فى ذلك الوصف ذهنا وإن لم يوجد في الواقع ، فلا يكون مميزا له عن جميع ما عداه ، فلا يكون حداً صحيحا

وإنما يحدد الجزئي بالاشارة اليه حاضرا فى الحس ، أو معهودا فى الذهن . فاذا أردت تعريف القرآن تعريفا تحديديا فلا سبيل لذلك إلا بأن تشير اليه مكتوبا فى المصحف أو مقروءا باللسان فتقول : هو ما بين

(١) السورة ١٥ الآية ٩ (٢) السورة ٥ الآية ٤٤